من تراب الطريق! (٢١١)

المثقف والسلطة (*) (١)

من أيادى الأستاذ الدكتور محمد عنانى على الترجمة، أنه ترجم إلى العربية مؤلفات للمفكر العربى الكبير إدوارد سعيد، كتبها المؤلف بالإنجليزية راميا إلى خطاب القارئ الغربى، ونقلها إلينا بالعربية الدكتور عنانى . من الكتب النفيسة التى ترجمها لهذا المفكر العريض، كتاب Representaions of the Intellectual.. أو " المثقف والسلطة " طبقا لعنوان الترجمة العربية .

الدكتور عنانى كدأبه فى كل ما ترجمه، يعطى جانبا من التقديم لفنون وإشكاليات الترجمة، وما صادفه منها فيما يترجمه، وهو يشير إلى ما لاقاه فى هذه الترجمة من تداخل دلالات الألفاظ بين العربية والإنجليزية، وكيف اجتازه حتى فى عنوان الكتاب، أما موضوعه فقد تبين له بعد طول قراءة أن " المحور الرئيسى " الذى تدور حوله هذه الدلالات جميعا، هو علاقة المثقف - بالمعنى العربى - بالسلطة، وهو محور يتشعب ويتفرع عند تناول الجوانب المختلفة لهذه الدلالات الكثيرة المتشابكة .

وسط الشعاب وفروعها، يخرج القارئ بالفكرة التى يرمى الدكتور إدوارد سعيد إلى إبرازها، ألا وهى ضرورة استقلال المثقف - أيا كان تعريفه - عن السلطة .. بمعنى عدم الارتباط بقيود تحد من تفكيره أو تقيده أو توجه مساره .. والمثقف الذى يعنيه سعيد هو ذلك المتمسك بقيم عليا

(*) المال ٢٠٠٩/٢/١٧

كالحرية والعدالة، المهتم بنقلها للغير بشتى الوسائل، والذى لا يقبل بالحلول الوسط التى تنبهم وتتمايع فيها الحدود بين الصواب والخطأ !

هذا المثقف هو الذى يقع على عاتقه عبء " تمثيل " العامة فى مقاومة أشكال السلطة الجانحة أو المخادعة أو المستبدة . هذا المثقف لا يدفعه إلا ما يؤمن به من قيم ومبادئ إنسانية عامة، لا تنحصر فى الحزبية الضيقة، أو الفئوية المتعصبة، أو المذهبية المتجمدة .. تسيره الهواية الصادقة ولا يقيده احتراف !

وأصل الكتاب الذى ترجمه الدكتور محمد عنانى للمفكر العربى إدوارد سعيد - كان محاضرات ألقاها تباعا على موجات الأثير ضمن سلسلة " محاضرات ريث " التى تقدمها الإذاعة البريطانية B.B.C وتناوب عليها مفكرون كبار أمثال برتراند راسل، وأوبنهايمر، وجون كينيث جالبريث، وجون سيرل، وتوينبى .. بدأ إدوارد سعيد فى إلقائها برغم جوقة ارتفعت صرخاتها بالاحتجاج على اختيار هيئة الإذاعة البريطانية للدكتور سعيد بدعوى أنه من المناضلين النشطاء فى سبيل الحقوق الفلسطينية، مدفوعة بأكاذيب أن صفة الفلسطينى - المغتصب وطنه الجارى اغتيال شعبه ! - مرادفة للعنف والتعصب وقتل اليهود !!

حول دور " اللا منتمى " الذى يلعبه المثقف أو المفكر، ينوه الدكتور سعيد فى مقدمته إلى أنه نشأ من إدراكه لمدى العجز الذى كثيرا ما يشعر به المرء إزاء شبكة قوية غلابة من " السلطات الاجتماعية " .. هذه السلطات التى تسد المنافذ أمام إمكان تحقيق تغيير مباشر . وهذا يستحضر " روح المعارضة " فى توجه المثقف - لا القبول والتناغم . هذه الروح هى القادرة على مواجهة وكبح التحديات وأخطرها آفة الاعتياد والاستسلام للوضع الراهن !

وكما تزداد الهوة بين الأغنياء والفقراء، تتسع أيضا بين المثقفين أصحاب الرغبة فى التغيير، وبين المستمسكين حتى الرمق الأخير بالحال

الراهن !.. يغلب على هؤلاء المفكرين المتصدين لآفات الموجود، أنهم بلا مكاتب أو مناصب، ويواجهون موجات مصرة على مقاومة دورهم وعزلهم . ولكن هذه " العزلة " خير للمثقف الحقيقى من الصحبة التى تعنى قبول الأوضاع الحالية على ما هى عليه !

فى ستة فصول تدور محاور الكتاب : صور تمثيل المثقف، استبعاد الأمم والتقاليد، منفى المثقفين : المغتربون والهامشيون، محترفون وهواة، قول الحقيقة للسلطة، أرباب دائبة الخذلان !

قد يقال إن صور تمثيل المثقف تتعدد بتعدد قنوات التغيير والنشر والبث .. ولكن الصعوبة تكمن فى أن المثقف يتحمل مقاومة الموجود للجديد الراغب فى التغيير، ثم هو منحاز للفقراء والضعفاء الذين لا يمثلهم أحد فى مراقى السلطة التى تتيح المنافذ وتهيمن عليها . زاد المثقف هو " إصراره " على أداء دوره، ورفضه " للصيغ السهلة " والتوفيقات الجاهزة المبتذلة .مهمة المثقف والمفكر تتطلب اليقظة والانتباه على الدوام، ورفض الانسياق وراء أنصاف الحقائق .. من شأن هذا التحرر أن يتيح للمثقف واقعية مطردة ثابتة، وطاقة عقلانية مؤثرة، ومكافحة تحفظ توازن الفرد أمام متطلبات النشر والإفصاح التى غالبا ما تصادر على منح الفرصة والمساحات لأصحاب الفكر والرأى !